٢- التَّغريب

الأمانةَ، الأمانةَ.

عرضَها الخالقُ ـ عزَّ وجلَّ ـ علَى السَّمَوَات والأَرض فأَبَيْنَ أنْ يَحملْنَها، وأشفَقْنَ منها، وحملَها الإنسانُ؛ إنه كانَ ظَلُوماً جَهُولاً.

والعقولَ، العقولَ؛ إنَّها أغلى الأماناتِ، وأعزُّ البضاعاتِ. كيفَ يرعاها المعلمون؟

سَألتُ خَبيراً فرنسياً، زارَ وزارةَ المعارف في سنةٍ خلَت، عن الامتيازات التي تمنحُها فرنسَا للمعلِّمينَ، فقالَ ذلكَ الخبيرُ ـ بكلِّ فَخر واعتزاز: لقد منحَتْ حكومةُ فرنسا المعلِّمينَ

حقَّ الامتيازِ العقليِّ، وهذَا أغلى وسامٍ، وأشرفُ تاجٍ.

وإني أتساءَلُ: هل يا تُرَى يرعَى المعلِّمون هذا الامتيازَ؟ وهل يحفظُ المدرسون هذه الأمانةَ؟

يَقيني أنَّ الكثيرَ منهم يستشعرُ هذا الهمَّ، ويَعي هذه المسؤوليةَ، ويقدرُ هذهِ الأمانةَ.

وأجزمُ أنَّهم يلومُونَ المسؤولينَ في وزارة المعارف والقياديِّين في إدارات التَّعليم حينَ يسمَعُون بذلك المعلِّم الذي يحضرُ إلى المدرسةِ، ويدخلُ الفصلَ، ويغلقُ البابَ، ثُم

يُغطِّي وجهَه بالغترةِ وينامُ.

وكأنِّي بهم يقولُون: ويلٌ لكم؛ لِم تتركونَ هذا الفاشلَ معَ فلَذات الأكباد؟! وكيفَ تأمَنون هذا السارقَ، سارقَ الزمنِ على تلكَ العقولِ؟!

ولِم لا تحاسبون هذا المقصِّرَ؟ إنَّه لا مكانَ لَه بينَنا معشرَ المعلِّمينَ. أبعِدوه، ازجُروه، حوِّلوه.

ولقَد فعلْنا؛ فمثلُ هذا الرجلِ لا موقعَ له في المدارس، وعيبٌ أن يكونَ معَ التربويِّين؛ فلَم يَرْعَ الأمانةَ، ولَم يَصُنِ الرسالةَ، ولَم يُقدِّر الثروةَ، ولَم يَحفَظِ النعمةَ.

وأحمَدُ اللهَ أنَّ هَذه من الحالاتِ النادرة، ولكنْ يجبُ على العاملين في المَيْدان أن

يتماسَكوا، وأن يتعاوَنوا لإصلاحِ الخَلَلِ، ونَفْيِ الخَبَثِ.

إن السفينةَ بركَّابِها، والمدرسةُ برجالِها، والتعليمُ بالقائمينَ عَلَيه.

وإنَّه متَى ما شعرَ المقصِّرُ أنَّ مديرَ المدرسة يراقبُه، وأنَّ زميلَه المعلِّمَ الآخَرَ يحاسبُه، وأنَّ الطالبَ يُقوِّمُه، وأنَّ البيتَ يتابعُه، وأنَّ المشرفَ التربويَّ يزورُه فإنَّه لا شكَّ يستقيمُ ويَستيقظُ، أو يتحوَّلُ ويبتعدُ.

وأذكرُ أنَّه في الشهرِ الثاني من العامِ الدراسيِّ ١٤٠٣هـ زارَني مديرُ مدرسة (ع،م) الابتدائيةِ الواقعةِ في حيِّ ابنِ دايل بجنُوب

مدينةِ الرياضِ.

وكانَت المدرسةُ تشغَلُ مبنى مستأجَراً في ذلكَ الوقت، واشتكَى من أحَد المدرِّسين، وذكرَ أنَّه يتأخَّرُ كَثيراً، ويغيبُ في بَعض الأيامِ. وعرضَ بعضَ المحاضِر التي تُؤكِّدُ قولَه.

وكلَّفتُ التوجيهَ التربويَّ بدراسة الأمرِ وزيارةِ المدرسةِ وإعدادِ تقريرٍ عَن المذكورِ.

وقامَ الموجِّهون بتَقويم ذلكَ المعلِّم، واتَّفَقوا معَ مُديرِ المدرسةِ في رأيِه، ولكنَّهم ذكَرُوا أنَّ الرجلَ متمكِّنٌ من مادَّتِه، قويٌّ في أدائِه، لكنَّ العيبَ في تأخُّرِه وغيابِه.

واقترحُوا حسمَ الغياب عَلَيه، ولفْتَ نظرِه والحزمَ معَه. ووافَقْتُهم علَى ذلكَ، وطلبتُ منهم أن يُستدعَى في إدارة التَّعليم بحضُور مدير المدرسة، وأن يؤخَذَ عليه التعهُّدُ بالالتزام والنظام، وأنْ يفهمَ أنه تم تكليف لجنة بمراقبته ومتابعته.

وهاتفتُ رئيسَ التَّوجيه التربويِّ، وطلبتُ منهُ أن يتمَّ هذَا التعهُّدُ في مكتبِه.

وبعدَ شَهرٍ أخبرَني مديرُ المدرسةِ أنَّ المعلمَ علَى طَبعه لَم يتغيَّرْ، فطَلَبتُ منهُ الحُضورَ إلى مكتَبي معَ ذلكَ المعلِّم، وكلَّفتُ مديرَ مَكتَبي أن

يهاتفَ ذلكَ المعلمَ، ويؤكدَ عَليه الحضورَ لإدارةِ التَّعليمِ لمقابَلَتي.

وحينَ زارَني نصحتُه ورجوتُه، وخوَّفْتُه وحذَّرتُه، وقَد أبدَى أسفَه، وطلبَ أن نمنحَه مهلةً، وأن نتجاوزَ عَن هفوتِه.

واستجبتُ لطَلبه، بعدَ أنْ كتبَ تعهُّدًا بالانضباطِ والالتزامِ، وقلتُ لَه:

مَنْ زعيمُكَ؟

قالَ: لَم أفهمْ ماذَا تُريدُ.

قلتُ: ألَم تقرأ قولَه تعالَى في سُورَة يوسف علَيه السَّلام: ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن

جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾. أريدُ زعيماً يضمنُك ويكفلُك.

قالَ المديرُ: أنَا كفيلٌ لَه هَذه المرةَ.

قُلتُ: لا مانعَ. ولكن اعلَمْ أنَّني سوفَ أُتابعُك شَخصياً، وسوفَ أزُورُ المدرسةَ بينَ الحينِ والآخَرِ لمراقبتِك.

وخرجَ الرجُلان، ولكنْ بعدَ مدَّة جاءَني مديرُ المدرسَةِ، وأخبرَنِي أنَّ المعلمَ المذكورَ عادَ لطبعِه وتأخُّرِه.

وعندَ ذلكَ أصدَرْنا في إدارَة التَّعليم قراراً

obeikandl.com

بنَقله إلى أبعَد مدرسة تابعَة للإدارة، وكانَتْ مدرسةً صحراويةً، طريقُها غيرُ معبَّد، وتبعدُ أكثرَ من مائتَيْ كم عَن مدينةِ الرياضِ.

وكُنَّا نرجُو أن لا يستجيبَ للنَّقل، وأن ينقطعَ مدةَ خمسةَ عشرَ يَوماً ونفصله؛ فالنظامُ في ذلك الوقت لايسمحُ بالفَصل إلا إذَا غابَ الموظفُ خمسةَ عشرَ يوماً متصلةً.

وقَد أحسنَت الوزارةُ صُنعاً حينَ طالبَتْ بفَصل المعلِّم إذا غابَ أثناءَ العام الدراسيِّ خمسةَ عشرَ يوماً متصلةً، أو ثلاثين يوماً منفصلة؛ ففي هَذا القرارِ علاجٌ لأولئكَ المقصِّرينَ. وأحمَدُ اللهَ أنَّ الموافقةَ الساميةَ

صدرَتْ باعتمادِ هذَا القـرارِ الذي يجري تطبيقُه حالياً.

المهمُّ أنَّ ذلكَ المـعلمَ وصلَه القـرارُ، وعـلَيـه التنفـيذُ فَـوراً، وجاءَ للمـراجَعَة ولَـم أستقـبلْه. وأفـهـمَه مـديرُ المدرسَـة والموجِّـهـونَ أنَّ عليـه المباشرةَ في المدرسة الجديدة.

ورفضَ الرجلُ، وجـاءَ بالخطـابات من هذَا وذاكَ، وتوالَت الشـفـاعـاتُ والوسـاطاتُ فلم نستجبْ.

ثُم تَلا ذلك وفـودٌ إثرَ وُفُـود من وَجَـهَـاء المجتَمَـع، وكلُّهم يَرجُونَ منحَه فُرصـةً ويطلبونَ

إعطاءَه مُهلةً فأفهَمتُهم مَا علَيه، وماذا عملْنَا معَه، ورجَوتُهم ألاّ يُحرجونا في هذَا الأمرِ.

ثُم جاءَ أقرباءُ المَذكور، وإخوةٌ لَه وطلبُوا تعديلَ القرَار لمَدرسة أُخرَى داخلَ المدينة وألَحُّوا، فوضَّحتُ لَهم موقفَ الإدارَة، وأنَّها تراخَتْ معَ المَذكُور، وسوَّفتُ في المعالَجة. ومَا ذنبُ أولئكَ الطُّلاب؟ فهُم أمانةٌ، ولَم يرعَ حقَّهم، ولَم يحفَظْ واجبَهم.

إن الطلابَ صامتون، وهذَا المعلمُ يجادلُ، والطلابُ لا أحدَ يُحامي لَهم، ولا فردَ يتوسَّطُ لحقُوقِهم، وهذا الرجلُ جاءتْنا الشفاعاتُ

والوساطاتُ فيه. وأظهرتُ لهم الحزمَ والجدَّ والإباءَ والرفضَ.

ومضَتْ عشرةُ أيَّام والرجلُ يتردد، وكلَّما يئسَ من هذا جاءَ بذاك، وكلَّما صرفْنا هذا أحضرَ ذاك.

وضاقَتْ بي الحالُ، وسئمتُ من كثرة الزوَّار، وعجبتُ كيفَ تعاطفَ هؤلاء القومُ معَ هذا المقصِّر! أهُو قويُّ الحُجَّة؟! وهل هو فصيحُ العِبارة؟! وكيفَ رانَ على أولئكَ قصورُه ولَم يسألُوه ويحاسبُوه؟

وفُوجِئتُ في اليومِ الثالثَ عشرَ بالمعلِّم

المذكور يكتبُ رسالةً، ويأتي بها قريبٌ له كبيرٌ في السنِّ، وعليه سِيما الصلاحِ والوَقارِ.

وقبلَ أن يُناولَني الرسالةَ خوَّفَني الرجلُ باللَّه، ثم صارَ يبتهلُ إلى اللَّه، ويُحذِّرُني من الظلمِ، وأنَّ في إجرائِنا خشونةً وقسوةً، وتسلُّطاً وفظاظةً.

وقلتُ له: علَى رِسلِك؛ لَم نظلمْه، ولَم نخذُلْه، وهُو البادئُ، وهو المقصرُ، لَم يحفظِ الرسالةَ، ولم يرعَ الأمانةَ.

قالَ الرجلُ: مهْما يكنْ من أمرٍ عليكُم بالصبرِ والحِلم.

قلتُ: لا بدَّ من تَنفيذ القَرار، ونَحنُ ننتظرُ إكمالَه الخمسةَ عشرَ يوماً لنفصلَه.

ثُم قالَ: أرجُو أن تسمحَ لذلكَ المعلم بالحضورِ، فهو يجلسُ معَ المراجعينَ. فأذنتُ لَه.

وسلَّمني الرجلُ الرسالةَ المكتوبةَ التي يحملُها، وحينَ قرأتُها عرَفتُ أنَّ المعلمَ المقصودَ يخوِّفُني بالله، ويذكِّرُني بالظُّلم وعواقبه، وقُلتُ لهما: لا بدَّ من المباشَرة، وسوفَ أكلِّفُ الموجِّهينَ بالتناوُب علَى زيارَة تلكَ المدرسة، وسوفَ أتابعُكَ يا محمدُ ـ وهو اسمُ ذلك المعلمِ ـ شخصياً.

واستدارَ الرجلان، وخرجَا وهما يرفعان الصوتَ بالدُّعاء عليَّ، ويُريدان أن أسمعَ، وقَد قلتُ في نَفسي: إنَّ الدعاءَ على قَدْر المَظْلمة، وإنَّ الظلمَ هو في بقائِك وعدمِ محاسبتِك.

واستدعيتُ مديرَ المدرسة المنقولِ إليها، وأفهمتُه بوَضع هذا المعلِّم، وشاركته في وَضع جدولَه في تلك المدرسة، وطلبتُ من المديرِ إبلاغي أولاً بأولٍ عن دوامِه وأدائِه.

ولَمَّا يئسَ، وعرفَ الجدَّ باشرَ في اليَوم الرابعَ عشرَ، وانقطَعَتْ أخبارُه، وبعدَ شَهر زارَني مديرُ المدرسةِ الجديدةِ. وأخبرَني أن الرجلَ منضبطٌ

وأنه ملتـزمٌ. وانتـهَى العـامُ الدراسيُّ، ووصلَني تَقـريـران من مـوجِّـهَـين مـختـلـفَين زارا تلك المدرسـةَ، وأشـادَا بذلك المعلِّم، وحُـسنِ أدائه وانضباطِه، فحمدتُ اللهَ علَى ذلكَ.

وبدأَ العامُ الدراسيُّ الثَّاني، ولَم يراجعْ، ولَم يتـقـدَّمْ بطلبٍ للنقلِ، ورغبَ في تلك الهـجـرةِ النائيةِ، وسرَّني ذلكَ.

وحينَ انتـهَى العـامُ الثـاني، وفي ذَات يَوم وبعدَ صَلاة الظُّهر، إذا بي أجدُ ذلكَ المعلمَ ومعَه صـاحبُـه الذي خوَّفَنا، ودعَـا علينا، أراهُمـا معَ المراجعينَ، وعـرفتُ أنَّهمـا يرغبانِ المقـابلةَ على

انفـراد. وبعدَ انتـهـاء أصحـابِ الحـاجات قـامَ الرجلانِ، وأسـرعَا يقبِّـلان رأسي، ويدعُوَان لي بالصحَّـة والعافية، ويطلُـبان منِّي السماحَ لهـما على تطاوُلِهما وتجاوُزِهما في القولِ والعتابِ.

قلتُ لهما: وما الحكايةُ؟!

قالَ الصـاحبُ: نحمدُ اللهَ أنَّ المعلمَ محـمداً بقي في الهجـرة عامين وقد نال إعـجاب أهالي القرية وحصل على تقارير ممتازة.

ثم قـالَ المعلمُ: لقَـد كنتُ ضـوءً في تلك الهـجرةِ، وشـعرتُ بقـيمَـتي وقَدري، وعـرفتُ واجباتي وتفريطِي.

ثم قالَ: إنِّي أصدُقُك القولَ، لقد كنتُ في مدرستي الأولَى بحي بن دايل أتأخَّرُ كَثيراً، والسببُ هو سَهري معَ رفاقٍ يسهرونَ، وأصحابٍ كادُوا يضيعونَ وظيفَتي ويشتِّتُون أسرتي.

ولَمَّا ذهبتُ إلى تلك القريةِ صحبَتْني الزوجةُ والأطفالُ، وصرتُ إمَّا في المدرسةِ أو معَ أسرتي، وابتعدتُ عن أولئك الرفاقِ الذينَ كانوا السببَ فيما حصلَ.

قلتُ: الحمدُ للَّه. وإنْ رغبتَ النقلَ فاختَرْ أيةَ مدرسةٍ بحاجةٍ إلى معلِّمٍ في مدينةِ الرياضِ

وسوَف نلبِّي رغبتَك، ونستجيبُ لطلبِك شريطةَ أن لا تعودَ لأولئك المعشرِ.

ثُم قلتُ لَه: لقَد غرَّبناكَ وأبعدناكَ، فكانَ في ذلك صلاحٌ لك وتقـويمٌ. وقَد وردَ في الإسلامِ التـغـريبُ والحكمُ به في بعضِ الحـالات، وقـد جرَى نقلُه إلَى المدرسـة التي اختـارَها في مدينةِ الرياضِ. وأسألُ اللهَ لَه التوفيقَ.